سلسلة إصدارات مسجد السلاب(٢)
www.msjedelsallab.com

صيحة نذير

انتبهوا أيها المصريون

بقلم
الشيخ/ عاطف شاهين
إمام وخطيب مسجد السلاب
في المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتماع كلمة المسلمين، ولم شملهم، وتوحيد صفهم، أحد مقاصد الإسلام العظام التي أبان الله تعالى عنها في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)** ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)** ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)** ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ **وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)** ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢] وقال تعالى: ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**» وشبك رسول الله ﷺ بين أصابعه، وقال أيضًا عليه السلام: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، وقال أيضًا عليه السلام: «**ثلاث لا يُغَل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة أمر المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من وراءهم**» وقال أيضًا عليه السلام: «**أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، الناس لأدم وآدم من تراب**».

وجاءت شرائع الإسلام تؤصل لهذا المعنى العظيم:

الله، الله حين يلفظ العربي الفصيح والأعجمي بلكنته: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

الله، الله حين يصطف المصلون خلف إمام واحد، بركوع واحد، وسجود واحد، يصلون لرب واحد في منظر عجيب بديع يشع نورًا وبهاءًا، قال عنه واحد من أعداء الملة حينما رأى جيش الإسلام في زمن العزة أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد اصطف خلف إمامه في منظر لم تكتحل عين الأعداء به في ديارهم، فقال هذا الرجل: لقد أكل كبدي عمر، لقد علم هؤلاء البدادة ومكارم الأخلاق.

والحق أن الذي علمهم وعلم عمر هو رسول الإنسانية ﷺ.

الله، الـله حين يمسك أكـثر من ملـيار ونصف عـن الطعام والـشراب في وقت واحـد بهيـئة مخصوصة في زمن مخصوص.

الله، الله حين يقتطع الغني جزءًا من ماله ليرفد به إخوانه الفقراء في أصقاع الأرض .

الله، الله حين تـبعث كل أمة بوفدها إلـى بيت الله الحرام بلباس واحـد، لأداء نسك واحد، يلبون لرب واحد، قبلتهم واحدة، كتابه واحد، نبيهم واحد.

حينما ينظر المسلم هذا بعين البصر والبصيرة يتضح له هذا المعنى العظيم.

* * *

ومن أجل بقاء هذا الأصل قائـمًا في أمة الإسلام ـ لا سيما وأن العرب لم يجـتمع أمرهم قبل الإسلام ـ حذر النبي ﷺ أمتـه من غواية الشيطان، وإفساد ذات البين، فقال عـليه الصلاة والسلام وهو يوصي أمته بمجامع دعوته في حجة الوداع: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن رضي في التحريش بينهم**». وقال عليه السلام في حجة الوداع كذلك محذرًا أمته من داء الفرقـة والاختلاف: «**لا ترجعـوا بعدي كفارًا يـضرب بعضكم رقـاب بعض**» أي: لا تعملـوا أعمال الكفار وتشابههم في الفرقة والاختلاف والتناحر والتنازع، لا سيما إن كان هذا بسبب ومن أجل الدنيا.

* * *

وفي سبـيل تحيق هذه الوحـدة، واجتماع الكلـمة، وإذابة الفوارق: آخى رسـول الله ﷺ بين المهاجـرين والأنصار في صـدر الإسلام، وقام المهـاجرون والأنصار بـحقوق هذه المؤخـاة على أتم الوجوه فاستحقوا بذلك أعظم الثـناء من الملك العلام؛ فقال سبحانه: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: ٨، ٩] .

* * *

ومضت الأيـام والليالي تـهدهدها روح المحبـة والإخاء، وكان بـين الحين والآخر تطفـوا على

السطح بعض رواسب الجاهلية البغضاء، فكان المسلمون يتغلبون عليها بـ: وفرة الإيمان في القلوب، وبعمق الأخوة المستقرة في الصدور، وبحسن الفهم لمكائد الأعداء لشرخ جدار الأخوة من أجل أضعاف أمرهم، وقبل هذا وبعد هذا وجود شخص معلم الإنسانية الخير ﷺ .

* * *

ومن المعلوم تاريخيًا أن سكان المدينة الأصليين ينحدرون من أصلين كبيرين هم: الأوس، والخزرج وكانت بينهما في الجاهلية حروب وعداواة وضغائن وأحقاد وثارات طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الإسلام، ودخلوا فيه، صاروا إخوانًا متحابين بجلال الله متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى.

لكن هذا الوفاق والوئام لم يعجب أعداء هذه الأمة ـ لا سيما الأمة المغضوب عليها «اليهود» ـ فعندما مر شاس بن قيس ـ واحد من شيوخ اليهود ومن أشدهم بغضًا للإسلام والمسلمين ـ علي ملأ من الأوس والخزرج وقد تمت لهم نعمة الإسلام والأخوة، ساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة فقال : **والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار.**

فبعث بشاب من شباب اليهود كان معه، وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث(١) وتلك الحروب، ففعل. فلم يزل هذا دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض، وتثاروا ، ونادووا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم،وتواعدوا إلى الحرة ـ أرض المعركة ـ فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: **أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟**

وتلا عليهم هذه الآية الكريمة: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ الآية.

فندموا على ما كان منهم، وتعانقوا وألقوا السلاح.

وقد امتن عليهم رسول الله ﷺ بهذه النعمة ـ نعمة الأخوة والوحدة ـ يوم قسم غنائم حنين، فعتب من عتب منهم لما فضل عليهم في القسمة بما أراه الله. فأمر النبي ﷺ سعد بن عبادة فجمع الأنصار وحدهم، فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: «**يا معشر الأنصار: مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في نفوسكم. ألم آتيكم ضلالاً**

---

(١) يوم بعاث: يوم معروف من مشاهير أيام العرب، كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

فهداكم الله، وعالة ـ فقراء ـ فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم» .

كلما قال النبي شيئًا، قالت الأنصار: الله ورسوله أمن.

❋ ❋ ❋

وهكذا كان المسلمون في الصدر الأول يتغلبون على هذه الفتنة العمياء بالأسباب التي ذكرت آنفًا.

ولكن مع تقادم الزمن، وضعف نور هذه الأسباب بين صفوف المسلمين، وبقاء شاس بن قيس اليهودي حيًا بروحه الخبثة ينفث سمومه بين صفوف المسلمين، استطاع أعداء الأمة أن ينالوا منها قدرًا ليس باليسير، فشقوا صفها، وأوهنوا قوتها ، وأضعفوا عزيمتها، وأوقعوا الفرقة والبغضاء بين أبناءها.

كل ذلك بخبث ودهاد، يتلطفون به حينًا، ويصرحون به أحيانًا، عندما تيقنوا ـ بحسب ظنهم ـ أننا صرنا في عداد الأموات، وبالتالي صارت ديارنا وأموالنا وما لنا غنيمة لهم.

وفي ظل الاضطرابات التي تعاني منها الدول العربية كان شاس بن قيس حاضرًا وبقوة في صفوف الغرب وأمريكا وإسرائيل ينفث سمومه الخبيثة من أجل مزيد من الفرقة والانقسام من أجل مزيد من الضعف والهوان لأمة الإسلام.

*** تطور فكرة تقسيم المشرق العربي في مراكز الفكر ، ودوائر اتخاذ القرار في الغرب:**

يمكن تقسيم ذلك من خلال ثلاث مراحل:

أ ـ تطور فكرة التقسيم، والتسويق لمشاريع الحكم الفيدرالي عبر دعم القوى المجتمعية في الفترة ما بين ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٦م.

١ ـ أول من طرح فكرة تغيير البنية الجغرافية السياسية للشرق الأوسط في مطلع الألفية الثالثة النائب الأسبق لرئيس هيئة الأركان الأمريكي «رالف بيترز» حيث نشر في مجلة القوات المسلحة الأمريكية دراسة بعنوان: «حدود الدم» ذكر فيها أن الحرب على الإرهاب ستبقى ناقصة ما لم تتم معالجة قضايا الإرهاب الأصولي والتخريب والكراهة الصادرة من الدول المحافظة التي لعبت دوراً في تقويض الأنظمة العلمانية ونشر التطرف في العالم الإسلامي وإعادة حقوق الإنسان إلى الوراء.

٢ ـ في سنة ٢٠٠٢ م بدأت الصحافة ومراكز البحث المقربة من وزارة الدفاع الأمريكية تتقدم بأطروحات لإعادة رسم خريطة المنطقة العربية كحل جذري لمواجهة التشدد الديني وإمكانية استخدام القوة العسكرية لتحقيق ذلك.

وعلى رأس هذه المراكز مؤسسة «راند» (١) حيث دعا خبيرها الاستراتيجي «لوران موريس» الإدارة الأمريكية إلى تبني حلول عسكرية متشددة إذا فشلت جهود الإصلاح.

(١) مؤسسة راند (Ranb corporation) : هي أكبر مركز فكري في العالم، وهو مركز فكري مقره الرئيس في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، تقوم مؤسسة راند الذي اشتق اسمها من اختصار كلمتي: الأبحاث والتطوير ، بجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات، ومن ثم تحليها وإعداد التقاير والأبحاث التي تركز علي قضايا الأمن القومي الأمريكي في الداخل والخارج. يعمل في المؤسسة ما يقارب من ١٦٠٠ باحث وموظف يحمل غالبيتهم شهادات أكاديمية عالية. وميزانيتها السنوية تتراوح بين ١٠٠ ـ ١٥٠ مليوم دولار أمريكي.

تعتبر مؤسسة راند أحد المؤسسات الفكرية المؤثرة بشكل كبير على المؤسسة الحاكمة في أمريكا، وهي تدعم توجهات التيار المتشدد في وزارة الدفاع، وتتولى الوزارة دعم كثير من مشروعاتها، وتمويلها ، كما ترتبط بعلاقات ، ومشروعات بحثية مع وكالة المخابرات المركزية، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وتصب كثير من الدراسات والبحوث الصادرة عن هذه المؤسسة في خانة أنصار مواجهة الإسلام والمسلمين.

ساهمت مؤسسة راند في رسم خطة الحرب الأخيرة على الإرهاب، وتقدمت بدراسة لوزارة الدفاع تقترح فيها ضرب المملكة العربية السعودية واعتبارها العدو الأول في العالم. كما أن فرع المؤسسة في قطر تعمل فيه الباحثة: شيريل بيرناد، زوجة مهندس الحرب على أفغانستان: زلماي خليل زاده. وهي التي قامت بكتابة مشروع الإسلام الديمقراطي، وهو ما عُرف لاحقًا باسم «تقرير راند» ويعتبر فرع المؤسسة في المنطقة العربية مركزاً مهمًا للمساهمة في إعادة تشكيل المنطقة وفق الرؤية التي تطرحها الإدارة الأمريكية.

٣ ـ في نفس السنة شارك القيادي في أوساط المحافظين الجدد«وليام كريستول» في مؤتمر إيطاليا (يونيو ٢٠٠٢) وتحدث في مداخلة عن وجود أجندة أمريكيـة ستبدأ بالحرب على العراق ، وتنتهي بإسقاط الأنظمة الملكية في الخليج العربي.

٤ ـ وفي العام نفسه ٢٠٠٢ تقدم مؤسس معهد «هدسون» للدراسات الاستراتيجية«ماكس سنجر» لوزارة الدفاع الأمريكية (أغسطس ٢٠٠٢) بدراسة تتلخص في الدعوة إلى إسقاط الأنظمة الملكية ودعم المعارضة في الخارج لإنشاء جمهورية مستقلة في شرق شبه الجزيرة العربية. وذكر المتحدث باسم البنتاغون «الفتنانت مايكل هوم» أن «ماكس سنجر» قد اجتمع بـ«أندرو مارشال»، وهو أحد المقربين من وزير الدفاع الأمريكي الأسبق، ودار الحديث بينهما حول إمكانية إنشاء كيان جديد على أسس طائفية في الخليج العربي[١] .

٥ ـ في هذه الفترة ما بين ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣ ـ التي ظهرت فيها التقاير الداعية إلى إعادة رسم الخريطة العربية، كانت الإدارة الأمريكية مشغولة بالتخطيط لغزو العراق، وتأسيس نظام سياسي يقوم على المحاصصة الطائفية.

٦ ـ منذ ذلك الحين بدأت تتضح ملامح الاستراتيجية الأمريكية الجديدة تجاه الشرق الأوسط، والتي ارتكزت على دعامتي: دعم الديمقراطية، وتمكين الأقليات، بداية من العراق، وانتهاء بدول الخليج.

وفي شهر مارس ٢٠٠٣ نشر الرئيس الفخري لمجلس العلاقات الخارجية الأمريكية «ليسلي غليب» مقالاً بعنوان: «العراق حل الدول الثلاث» دعا فيه إلى تقسيم العراق إلى ثلاث دول على أساس عرقي وطائفي: سنة، وشيعة، وأكراد.

٧ ـ في سنة ٢٠٠٦ نشر معهد «غلوبال ريسيرتش» الكندي مقالاً للكاتب «غاري هلبرت» تحدث فيه عن وجود مخطط أمريكي لتقسيم منطقة الشرق الأوسط على أسس إثنية وطائفية ، وأكد الكاتب أن نائب الرئيس الأسبق «ديك تشيني» ، ونائب وزير الدفاع الأسبق «بول ولفويتز» كانا من أبرز المؤيدين لفكرة التقسيم.

---

(١) من خلال هذا وغيره نستطيع أن نفهم أن انفتاح حكومة الإخوان في عهد محمد مرسي على دولة إيران كان بمخطط أمريكي ولا نستطيع أن نقول أن ذلك تم وحكومة الإخوان في غفلة من أمرها لأن جذور العلاقة بين الإخوان والشيعة قديمة من حيث بعض المعتقدات وكثير من المواقف السياسية المشتركة وإن كان ذلك على حساب معتقدات أهل السنة والدول العربية، ولكن الإخوان لا يقيمون لهذين الأمرين بالا في سبيل تحقيق مصالحهم الحزبية والشخصية، والوصول إلى الحكم إيا كان الثمن.

وفي العام نفسه نشر المعـهد تقريراً عن إمكانية أن تشهد المرحلة المقبلة بذل جـهود استخباراتية لتشجيع الأقليات في المنطقة العربية للمطالبة بكيانات سياسية مستقلة.

ب ـ الدعوة إلى دعم مطالب المعارضة الراديكالية بالانفصال السياسي والحكم الذاتي (٢٠٠٧ ـ ٢٠١٠):

١ ـ بحلول عام ٢٠٠٧ بدأت تـظهر ملامح تفاعل القوي المجـتمعية الأكثر تـشدداً في المشرق العربـي مع دعوات التقـسيم الغربـية، وبدا ذلك واضحـًا في تعالي أصـوات الجماعات المتـطرفة للمطالبة بالانفصال السياسي. حيث نشرت مجلة «ميدل إيست بوليسي» في عددها الصادر في ٢٢ يونيو ٢٠٠٧ تقريراً يؤكد أن الأنظمة العربية باتت تشعـر بالقلق من تنامي نشاط التنظيمات المتطرفة المرتبطة بإيران، مما دفـع بعدد من القادة والزعماء العـرب لتحذير الدول الغربيـة من مخاطر دعم هذه الجـماعات التـي تهدد حـالة السلم الاجـتماعـي، وتتسبـب في شرخ خطـير في العـلاقات الإقليمية.

٢ ـ في مطلع عام ٢٠٠٨ صعـدت إيران موقفها ضد المملكة العربيـة السعودية، والإمارات، وكررت ادعاءاتها بتبعية البحرين لإيران، في الوقـت ذاته طالبة بعض الجماعات الشيعية في الدول العربية بتقسيم المنطقة على أسس مذهبية.

٣ ـ وفي العام نفسه رعت وزارة الخارجية الأمريكية برنامج «قادة الديمقراطية» وشارك فيه عدد من قادة الجماعات المتطرفة التي لا تؤمن بالديمقراطية من حيث المبدأ.

٤ ـ ما بين عامي ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٠ جرت لقاءات مكثفة بين مسئولين غربيين وزعماء جماعات راديكالية تناولت سبل دعم هذه المعارضة وإعادة رسم خريطة جديدة للمنطقة.

٥ ـ في عام ٢٠٠٩ حاولـت بعض الجماعات في دول الخـليج العربي تأزيم الموقف الـسياسي والمطالبة بتشكيل كيانات سياسية مستقلة.

ونظمت هذه الجماعات حملات احتجاجـية اتسمت بالعنف، وتوجت بدعوة أحد رجال الدين إلى الدعوة بالانفصال السياسي، وحض أتباعه على حمل السلاح قائلاً: «كرامتنا أغلى من وحدة هذه البلاد. ولن تنالوا عدلاً؟! إلا بالجهاد».

٦ ـ في عام ٢٠١١ نشرت مجلة «فورين بوليسي» الأمـريكية دراسة للباحث «أ. بينات» أشار فيها إلى إمكانية أن تتعاون الإدارة الأمريكية مع إيران لدعم جماعات المعارضة في الدول العربية [١].

(١) من المعلوم سلفًا أن التعاون بين إيران وأمريكا كبير جدًا، وأن طبيـعة العلاقة بينهما تسير في خطين متوازيين: ففي المطبخ وخلف الستائر يسعيان إلى مصالح مشتـركة أساسها السيطرة على الوطن العربي وضرب دول أهل السنة في مقتل. وأمام الكاميرات وشاشات التليفزيون والرأى العالمي هما ضدان.

٧ ـ مع بداية الثورات العربية تقدم كثير من الباحثين الغربيين بأطروحات أكثر جرأة فيما يتعلق بإعادة رسم الخريطة الجغرافية والسياسية للمنطقة العربية.

ج ـ مرحة الثورات الشعبية وظهورمفهوم «التجزئة داخل الحدود» ٢٠١١ ـ ٢٠١٣ .

في أتون حالة الفوضى التي انتابت البلاد العربية أثناء الثورات المسماة بـ«الربيع العربي!!» تنامت ظاهرة الولع الغربي بخريطة جديدة للوطن العربي، وبالفعل بدأت تظهر رسومات وخرائط جديدة مستحدثة لإعادة تقسيم المنطقة وفق مصالح القوى الدولية المتنافسة.

وكأن التاريخ يعيد نفسه، ففي أعقاب الحرب العالمية الأولى تقاسمت دول الغرب الدول العربية وتم وضع حدود جغرافية وفق مصالح هذه الدول. دون اعتبار لسكان الأرض وأصحاب الوطن وكأننا تركة.

١ ـ رأي «روجر أوين» الباحث في جامعة «هارفرد» أن الحرب العالمية الأولى أنتجت دولاً مصطنعة لا يزال تحقيق الاستقرار فيها متعذرًا دون حكم عسكري استبدادي الأمر الذي يدفع بالمجتمع الدولي للبحث عن ترتيبات جديدة تهدف إلى تحقيق الاستقرار بصورة أكثر واقعية، وذلك من خلال إعادة تقسيم المنطقة وفق حدود جديدة تحظى باعتراف عالمي كما وقع في السودان، وجنوب السودان ، أو من خلال تطبيق مفهوم «التجزئة داخل الحدود» كما هو الحال في العراق. ورأى «أرنولد آلرت» أن السيناريو الأخير هو الأفضل لسوريا بحيث يشكل فيها نظام سياسي تتوزع فيه السلطة بين السنة والأكراد والعلويين. مشددًا على ضرورة وضع المصالح الأمريكية على قمة الحسابات في المرحلة القادمة.

٢ ـ الجدير بالذكر ـ والغريب في الوقت ذاته بالنسبة لنا معاشر العرب وأهل السنة ـ أن المراكز

والإنسان الفطن يستطيع أن يدرك هذا ببساطة من خلال طريقة الشد والجذب، والإحجام والإقدام، والمناورات الكلامية، والغزل السياسي بين البلدين. كل ذلك حسب ما تقتضيه المواقف وتفرضه اللحظة. ونهاية المواقف كلام. أما على أرض الواقع فكل يمشي حسب الخطة المرسومة. والمثل الشعبي المصري يقول: «القط يحب خناقه». بل الأمر أكبر من ذلك، فقد صرحت إيران على لسان نائب الرئيس الإيراني للشئون القانونية والبرلمانية أنه لولا إيران لما سقطت كابول وبغداد . وأن إيران قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربهم ضد أفغانستان والعراق، وخط الطيران الممتد جوًا عبر طهران وتل أبيب، والقبلات الحارة على وجوه علماء الشيعة وحاخامات إسرائيل ليل نهار... إلخ. كل ذلك وما خفي كان أعظم ـ يستطيع المسلم الفطن أن يكتشف من خلاله طبيعة المواقف، وفي أي طريق تسير!!! فمتي يفهم العرب وأهل السنة في بلاد المسلمين ويعرفون العدو من الصديق؟!

الإعلامية والبحثيـة في إسرائيل بادرت من جهتها إلى تبني مفهوم إعـادة رسم خريطة الدول العربية وفق مفهوم: «التـجزئة داخل الحدود » باعتبارها الحلـقة الأخيرة في عملية السلام مـع الفلسطينيين والعرب من جهة وإسرائيل من الجهة الأخرى.

فقد نـشر «ألوف بن» رئيس تحـرير صحيفـة «هآرتز» مقالاً أكد فـيه ضرورة أن تسـفر تطورات المنطقة عن صيـاغة خريطة سياسية جديدة تحـترم حقوق الشعوب في تقرير مصـيرها!!! وذلك عبر تأسيس كيانـات سياسية جديدة، وهو الأمر الذي سـيكسر عزلة إسرائيل ويتيح لـها مجال المناورة، ويعزز فرص تواصلها مع شعوب المنطقة(١) واختتـم مقالتة بالقول: «ولا نستطيع تجاهل أن إسرائيل هي لاعب أساسي في السـعي نحو إقامة الدولة الفلسطـينية المستقلة وترسيم حـدودها. وفي سياق متصـل لن تكون إسرائيل بمنـأى عن تأثيرات تفكك الدول المجـاورة لها، لا سيمـا الأردن وسورية والمملكة العـربية السعودية، حيث يمـكن لإسرائيل أن تتبنى سيـاسة ذكية تمكنها مـن تحديد الفرص الكامنة لانبـثاق دول جديدة ، وتساعـدها على استغلال هذه الـفرص، وتجعلها قادرة عـلى احتواء عملية التحول الحتمي بهدف تعزيز قوتها ونفوذها في المنطقة».

* * *

(١) ليتنا إذن نفهم قول الشاعر العربي القديم لأبناءه:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرًا وإذا انفردن تكسرت آحادًا

فهل فهمتم أيها العرب ـ لا أقول مـا بين السطور ـ بل ما على السطور، وأن الأحداث التي تمر بها بلادنا تصب في مصلحة من؟!

وكم كانت روح شاس بن قيس الخبيثة حاضرة وبقوة في صفوف أذنابها وأحفادها من أتباع الملة الغضبية ـ اليهود ـ وإلى أى حد بلغت الجرأة والوقاحـة، والانتقال من التلويح إلى التصريح بتقسيم أمة الإسلام إلى دويلات حسبما تقتضيه مصلحة الغرب وأمريكا وإسرائيل.

ولكن الملفت للنظر أن أتبـاع أُسْدِ الغَابَةِ من أبناء الأمة المرحومة قد بلـغوا حدًا من السذاجة لا يكاد يعقل، بحيث أنهم يسيرون على الخط الرسوم لهم سلفًا من قبل أعداءهم حذو القذة بالقذة ، شبرًا بشبر، ذراعًا بذراع، حتي لو رسموا لهم جحر ضب ليدخلوه لدخلوه.

* * *

وفي الوقت الذي تحـاول فيه دول الغرب أن تحقق مـن نفسها وحدة واحـدة سياسيًا واقـتصاديًا وعكسـريًا على رُغم ما بيـنها من اختـلاف في العقائـد والأفكار والتصـورات والعادات والتقـاليد والأجناس والأعراف، ولكنهم أدركـوا رُغم كل هذا أن هناك ، بل هنالك مصالح مشتـركة تستطيع أن تتغلب نـداءاتها على كل ما سبـق، فحاولوا تحقيق وحـدة واحدة من أجل الصمود أمـام أمريكا وجبورتها، فلم يستطيعوا أن يتخلوا عن زعـاماتهم وعروشهم . . . ففكروا ثانية في حل يحقق لهم مآربهم مع الاحتفاظ بزعامتهم وعروشهم، وبالفعل نجحوا في ذلك نجاحًا كبيرًا. فها هي دول أوربا تصنع من حدودها لحـمة واحدة تحت شعار «الاتحاد الأوربي» ورُغم كل الصـعوبات التي وما زالت تواجه هذا الاتحاد إلا أننا نسمع كل يوم عن دولة جديدة تـنضم إليه ، ومن تحاول الخروج يستعصي عليها ذلك.

* * *

وفي الوقت ذاته نجد دول الوطن العـربي بصفة خاصة، ودول العالم الإسلامـي بصفة عامة لا اختلاف بيـنها في كثيـر مما هو قائم بين دول الغرب، ومع هـذا لم يستطيعـوا أن يحذوا حذو دول أوربا، فلا كومنلوث إسلامي، ولا اتحاد عربي حقيقي، وليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل تسعي سعيًا حثيثًا إلى مزيد من الانقسام من أجل مزيد من الضعف.

حب السلطة والزعامة وتبوء المناصب والكراسي أنسى كثيرًا ممن يتشدقون بحب البلاد والأوطان السير في طريق المصلحة الحقيقة لبلادهم. وكان المثل الشعبي المصري هو القانون الذي يسيرون عليه

«يا فيها يا أخفيها».

ومواقف الكل ذكـرتني بذلكم الطفل المسكـين الذي تناولته يد أم حقـيقية وأخري مزيفـة فلما احتكما إلى سليمان النـبي عليه السلام واستعصى عليه الفصل في القضيـة لجأ إلى حيلة ليعرف من خلالها الأم الحقـيقية ، فنادى على السياف وأمره أن يـشق الطفل نصفين، فتتمتع كـل أم بنصفها. حينئذ صاحت الأم الحقـيقية على الفور: لا. لا. ليس ابني، هو لها . فعرف سليـمان ساعتئذ من أم الطفل.

الأم الحقيـقية فضلت أن تحرم من ضـم ابنها إلى صدرها في مقـابل أن تنعم برؤيته حيًـا يلهو ويمرح. وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة، وليس الكحل في العينين كالتكحل.

* * *

في خضم هذه النزاعات تـسقط كل الأقنعة وتحاول أن ترى بأم عينيك : أين الأم الحـقيقية !! أين من يحب بلده من سويداء قلبه، وأين الدَّعي في الحب؟!

أليس في مصر والأمة العربية قوم رشد يقفون مع أنفسهم لحظة صدق ويسألون :

إلى أي طريق نسير؟!

ولمصلحة من نعمل؟!

ومن المستفيد الحقيقي من هذا الصراع الدائر في بلادنا؟!

وما الذي نورثه لأبـناءنا وأحفادنا ؟! هل هو الحب والوئـام وتغليب المصلحة العـليا، أم الكره والبغض وتغليب الأنا والذات على كل الاعتبارات!!

أسئلة كـثيرة أراها تقابـل وجهي وأنا أنظر في المرآة كـل صباح ، وللأسف لا أجد لهـا جوابًا شافيًا ، وأقف حائرًا أنظر إلى بني وطني بعين الحسرة والندامة وأنتظر الغد بخوف شديد، تساورني فيه مشاعر الحزن والأسى على سوء الفهم وخبث المقصد وتجذر الأنا في أعماق النفوس.

وفي الوقت ذاته أعلم أن كل ما نحن فيه يقود لا محالة إلى مصير لا أقول مجهول، بل معلوم ألا وهو: الفشـل، ومن ثَّم ذهاب الريح ، لنكون أثرًا بـعد عين. وهذا المصير أبـان عنه الحق جل جلاله في الأزل، وأنزله علـى قلب نبيه ﷺ قبل خمسـة عشر عامًا من الزمان فـي قرآن يتلى على مسـامع الدنـيا، ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾

[الأنفال: ٤٦].

ولكن لماذا ختم الله الآية بالصبر؟ لعله ـ والله أعلم بمراده ـ في سبيل تحقيق الوحدة يتنازل المرء عن بعض ما يري أنه من حقه من أجل أن يحافظ على اللحمة والمصلحة العامة، وليس بمقدور كل واحد أن يفعل هذا إلا من رسخ الإيمان في قلبه، بل وتحلى بنصفه في أخلاقه وجوارحه مصداقًا لقول النبي ﷺ: «**الصبر نصف الإيمان**»(١).

* * *

أنا لست متفائلاً إلى حد النظر إلى الوعود الشرعية بنصرة هذه الأمة على أعدائها من غير التفات إلى الأسباب والأخذ بها.

ولست متشائمًا إلى حد اليأس من الغد بالنظر إلى الواقع المرير الذي تعيشه أمة الإسلام والضعف والهوان الذي مُنِيَتْ به.

ولكني مسلم أتلمس هداية السماء، وأبحث عن أسباب النصر والتمكين وفق السنن الشرعية والكونية، واعلم أنه لا زال في الأمة أولوا بقية من خير يرجى من وراءهم الخير، وبإمكان كل واحد منا أن يكون منهم بشرط عقد القلب، وقوة العزيمة، والسعي الحثيث فيما هو نابع له ولأمته من غير التلفت يمينًا وشمالاً كي لا يصاب باليأس والإحباط.

عمدتي في ذلك قول أصدق العالمين ﷺ: «**إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يغرسها فليفعل**».

أصحاب الرسول الكريم عندما سمعوا هذا الحديث لم يسألوا رسول الله ﷺ: لمن، ومتى، وكيف، وأنى، ولماذا.... وهلم جرا. لأنهم فهموا ما وراء الخطاب: كن أداة بناء لا معول هدم حتى أخر ساعة من عمرك أو من عمر الدنيا.

* * *

(١) من بدائع الإمام ابن عاشور قوله في تفسير الآية الكريمة: «وأما النهي عن التنازع فهو يقتضي الأمر بتحصيل أسباب ذلك بالتفاهم، والتشاور، ومراجعة بعضهم بعضًا، حتى يصدروا عن رأى واحد» اهـ. من «التحرير والتنوير» (١٠/ ٣٠).

الحل ، والسبيل إلى الحفاظ على اللحمة الوطنية والنسيج الاجتماعي

١ ـ تعميق مفهوم الدولة والأمة، وتحقيق الانتماء الحقيقي لهما.

٢ ـ العمل على إيجاد مصالحة حقيقية لكل فئات المجتمع.

٣ ـ إيجاد علاقة متوازنة بين السلطة والمجتمع.

٤ ـ العدالة في توزيع الثروة من خلال قانون عام وموحد يمشي على رقبة الجميع من غير تفرقة أو انحياز لفئة على فئة.

٥ ـ التجمع خلف هدف واحد مشترك يضم كل القوى المهدرة ، لا سيما فئة الشباب من أجل النهوض بالوضع الاقتصادي المتدهور.

٦ ـ الاهتمام بالعلم كمقوم رئيس لبناء الأمة ، فضلاً عن الدولة، والاعتبار في هذا بالدول التي بدأت بعدنا بكثير، وهي الآن في مصاف الدول المتقدمة مثل: اليابان، ألمانيا، كوريا الجنوبية.

٧ ـ عدم المساس أو العبث بـهُوية البلاد وثوابت دينه، مصر دولة إسلامية سوداها الأعظم من المسلمين، ومحاولة العبث أو المساس بدينها سيجعل البلاد بلاقع وستدخل البلد في آتون فتنة لا يعلم مداها إلا الله.

ولن تستطيع الدولة ، ولا القوى المجتمعية ساعتئذ أن تئد هذه الفتنة.

* * *

فمتى نفقه قضيتنا، ونغلب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وننظر في عواقب الأمور، فإن معرفة الخير من الشر لا يكذب إلا بالنظر في العواقب والنتائج. هكذا قال الشرع والعقل.

* * *

يا رب أسألك بعزك الذي لا يرام، وبملكك الذي لا يضام، وبنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تجمع أمر مصر وبلاد المسلمين على كلمة سواء ، وأن تنزع من القلوب والصدور نار البغضاء والحقد والكراهية. اللهم احفظ مصر من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين، ومكر الماكرين . اللهم اجعل مصر وأهلها في رباط إلى يوم القيامة، وابق لهم

على الرحم والذمة .

اللهم احفظ على مصر أمنها وأمانها، ووحدة جيشها واجعله غصة في حلوق أعداءها[١] . يا رب ما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشدًا. اللهم أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم أنر بصائرنا بنور الحق، وأيدنا بالحق، وأيد الحق بنا، واجعلنا هداة مهتدين ، غير خزايا ولامضلين. يا رب في تدبيرك ما يغني عن الحيل، وفي عفوك ما يمحو الزلل. اللهم لا نضام وأنت حسبنا، ولا نفتقر وأنت ربنا، وبدونك لا حول ولا قوة لنا. فاللهم اغفر لنا، وارحمنا، وتب علينا ، وتولنا، أنت مولنا، فنعم المولى ونعم النصير.

وكتب

عاطف شاهين

الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف

مسجد السلاب

المنصورة

في ليلة الجمعة

١٦ / ٢ / ١٤٣٥ هـ

١٩ / ١٢ / ٢٠١٣ م

وأنا في سرير المرض أتلمس

أنفاس الأمل والرجاء، وأدعو لبني وطني

بصفاء القلب ، ونقاء السريرة

(١) ربما لا تعجب هذه الدعوة بعض الناس ، لكن بعد حين ستعرفون معناها وقيمتها «ولتعلمن نبأه بعد حين».

رسائل
مهداة إلى شباب مصر والأمة العربية

قال حافظ إبراهيم ـ رحمه الله ـ يائسًا من حال أمته:

١ ـ لم يبقَ شيءٌ من الدنيا بأيدينا   إلا بقيةَ دمعٍ في مآقيـــــــنا
٢ ـ كنا قلادةَ جيدِ الدهر فانفرطت   وفي يمين العلا كنا رياحيـــــنا
٣ ـ كنت منازلُنا في العز شامخـــةً   لا تُشرِقُ الشمسُ إلا في مغانينا
٤ ـ وكان أقصى مني نهرٍ «المجرة» لو   من مائه مُزِجَتْ أقداحُ ساقينـا
٥ ـ والشُهْبُ لو أنها كانت مسخرةً   لَرُجِمَ من كان يبدو من أعادينا
٦ ـ فلم نزل وصروفُ الدهر ترْمقنا   شزراً وتخدعُنا الدنيا وتلهينـــا
٧ ـ حتى غدونا ولا جاهٌ ولا نسبٌ   ولا صديقٌ ولا خلٌ يواسينـــا

قال معروف الرصافي ـ رحمه الله ـ مستنهضًا همم أبناء أمته:

١ ـ أرى مستقبلَ الأيامِ أولى	بمطمعِ مَنْ يُحاول أنْ يسودا
٢ ـ فما بلغ المقاصدَ غيرُ ساعٍ	يُرددُ في غدٍ نظرًا سديـــدًا
٣ ـ وهل إن كان حاضِرُنا شقيًا	تَسُود يكون ماضينا سعيدا
٤ ـ فَشُّر العالمين ذُو خمولٍ	إذا فاخرتهمِ ذكروا الجدودا
٥ ـ وخير الناسِ ذُو حسبٍ قديمٍ	أقام لِنفسه حسبًا جديـــدا
٦ ـ تراه إذا ادِعَى في الناس فخرًا	تقيمُ له مكارمه الشهـــــدوا
٧ ـ فَدَعِني والفخارَ بمجد قومٍ	مضى الزمان القديم بهم حميدا
٨ ـ قد ابتسمت وجوه الدهر بيضًا	لهم ورأيْنَنَا فَعَبسن سُودَا

قال أحمد محرم في قصيدة كتبها في أول سنة ١٩٤٢ احتفاءًا بإنشاء الجامعة العربية، وهو يصور هذا الأمل البسام:

١ـ أُمَمَ العروبة جاء يومك فاعملي وإلى مكانك فانهضي وتقدمي
٢ ـ لك في فم الأحداث دعوةُ صارخٍ ينفي القرار عن الشعوب النوَّم
٣ ـ فدعي المضاجع وانفضي عنك الكرى وخذي السبيل إلى المقام الأعظم
٤ ـ ضمي القوى وتجمعي في وحدة عربية تحمي اللواء وتحتمي
٥ ـ هذا زمان ليس يفهم أهلهُ إلا حديث النار أو لغة الدمِ
٦ ـ كثرت لغات العالمين، وهذه أوفى بيانًا في اللسان وفي الفم
٧ ـ والعدل أكثر ما يكون حديثُه أنشُودةَ الجاني ودعوى المجرم
٨ ـ أُممَ العروبة جَدَّ جَدُّك فانظمي من عقدك المنثور ما لم ينظم
٩ ـ لك أن تسودي تحت رايتك التي خفقت لها الدنيا فسودي واسلمي

*** إلى من سولت لهم أنفسهم أن يفرطوا في حبة رمل من أرضهم ووطنهم هذه الكلمات الغالية من آخر يوم من أيام العزة الإسلامية، وآخر خليفة من خلفاء المسلمين، السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله:**

« انصحوا الدكتور «هرتسل» بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين... فهي ليست ملك يميني ... بل ملك الأمة الإسلامية... لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض وَرَوَاُهَا بدمه... فليحتفظ اليهود بملايينهم... وإذا مُزقتْ دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن.

أمَا وَأنَا حيّ فإن عمل المبضع في بدني لأهْوَن عَلىّ مِنْ أَنْ أرى فلسطين قد بترت مِنْ دولة الخلافة، وهذا أمر لا يكون. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجْسادنا ونحن على قيد الحياة».

*　*　*